المحاضرة الثامنة؛

أنواع المفردات في اللغة العربية (الفصيح، الدخيل)

لقيت الفصاحة والبلاغة عناية و اهتماما من قبل الدارسين، فإذا كان هؤلاء قد أشاروا إلى أن البلاغة قد ظهرت في فترة مبكرة في التاريخ، فإن مصطلح الفصاحة لم يكن متأخرا عنه في الظهور بكثير، إذ تعتبر مصطلحا هاما في دراسة البالغة العربية، و هناك الكثير من العلماء من لا يفرق بينها وبين البلاغة ظنا منهم أنهما تدلان على مقصود واحد، فلإبلاغ عما في النفس هو الإفصاح، و مع تطور علم البلاغة مع العصور المتأخرة أصبح الفرق يكاد يجمع عليه العلماء، و هو الأمر الذي أشار إليه 1الخطيب القزويني حين قال: "للناس في تعريف الفصاحة و البلاغة أقوال كثيرة "[1]

1.تعريف الفصاحة

أ. لغة : ورد في لسان العرب : الفصاحة : البيان ; فصح الرجل فصاحة ، فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح ; قال سيبويه : كسروه تكسير الاسم نحو قضيب وقضب ; وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح . تقول : رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ ، ولسان فصيح أي طلق . وأفصح الرجل القول ، فلما كثر وعرف أضمروا القول واكتفوا بالفعل مثل أحسن وأسرع وأبطأ ، وإنما هو أحسن الشيء وأسرع العمل ، قال : وقد يجيء في الشعر في وصف العجم أفصح يريد به بيان القول ، وإن كان بغير العربية.2

كما نجد أيضا أن: مادة_ (ف، ص، ح) في المعاجم العربية تدل على الظهور والبيان و هذا الأمر مرتبط بالبيئة التي كان يعيش فيها العربي، إذ نجد أنه ربط معنى المادة بالأنعام، لأنه وجد أن اللبن إذا خال من الرغوة فقد فصح وبان، و هذا ما جاء في المعجم الوسيط: "فصح اللبن فصحا و فصاحة: خلص مما يشوبه فأخذت عنه رغوته و بقي خالصه".[3]

---

1. القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني و البيان والبديع، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان،

2.جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بير وت، لبنان، ط50 ،الجزء11 ،ص .186

3.إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة السلمية للطباعة والنشر، ط: 2 ،ص186

كما نجد مرادفات الفصاحة مثل :بيان، بلاغة، ذلاقة[4] ،تطلق الفصاحة أيضا على البيان والظهور، قال تعالى: "و أخي هارون هو أفصح مني لسانا" إيضاحا في توصيل خطابه للآخرين (القصص \ 33) معناه أنه أكثر إبانة و ما نلاحظه من كل ما تقدم من المعاني أن مادة (ف_ ص _ ح) لا تكاد تخرج عن المعاني الآتية: خلوص الشيء مما يشوبه، والبيان و الوضوح

ب. اصطلاحا:

جاء في كتاب أسرار البلاغة أن "الفَصَاحة في المفرد: خُلُوصه من تَنَافر الحروف والغَرَابة ومُخَالفة القِياس، وفي الكلام: خُلُوصه من ضعف التَّأليف، وتَنَافُر الكلمات مع فَصَاحَتها،... وفي المتكلِّم: مَلَكَةٌ يقتدر بها على التَّعبير عن المقصود بلفظ فَصِيح وقال الرَّازي: (الفَصَاحة خُلُوص الكلام من التَّعقيد)

وقيل: (الفَصَاحة عبارة عن الألفاظ البيِّنة الظَّاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأْنُوسة الاستعمال بين الكُتَّاب والشُّعراء لمكان حُسْنِها... وفَصَاحة الكلام: سلامته بعد فَصَاحة مفُرداته ممَّا يُبهم معناه، ويَحُول دون المراد منه)" وفي اصطلاح أهل المعاني: "عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، و المأنوسة الاستعمال بين الكتاب و الشعراء لكان حسنها"[4]

فالفصاحة إذن ما سهل فهمه عاري من الغموض و هذا يدل على أن القصد من كل ما سبق هو خلوص عربية المتكلم من الخطأ و اللحن وغيرها مما يشو بها بالإضافة إلى طلاقة اللسان و سلامة النطق

وقد تباينت الآراء حول مفهوم الفصاحة. ذهب فريق إلى القول انها تعود إلى المفردات فقط وفريق ثاني قال باللفظ والمعنى. فالفصاحة ما كان الكلام واضحا لا يعتريه اللبس ولا الوعورة وما ابتعد عن الغرابة

. جهود العلماء في دراسة الفصاحة

ورد مصطلح الفصاحة عند الكثير من الدارسين، و قد كانت اجتهاداتهم متفاوتة ، فهناك من حاول ربطه بالمعنى و هناك من حاول ربطه باللفظ أو بهما معا، لذلك تعتبر أكثر المصطلحات تداولا بين جمهور النقاد والبلاغيين و أعظمها أثرا ما قدمه الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين" إذ يقول:" و أريت الناس يتداولون

4.قاموس المعاني،https://www.almaany.com/ar/thes/ar-ar

5. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص188

رسالة يحي بن يعمر، على لسان يزيد بن المهلب: إنا لقينا العدو فقتلنا طائفة و أسرنا طائفة، ولحقت طائفة بعراعر الأودية و أهضام الغيطان، وبتنا بعرعرة الجبل، و بات العدو بحضيضه" قال: فقال الحجاج :بات العدو ما يزيد بأبي عذر هذا الكلام، فقيل له: إن معه يحي بن يعمر! فأمر بأن يحمل إليه فلما أتاه قال: أين ولدت؟ قال: بالأهواز، قال: فأنى لك هذه الفصاحة ؟، قال: أخذتها عن أبي ."[5]

اعتبر كل من لفظة": عرارة الأودية "أسفلها "عراعر الجبال أعاليها" ،أهضام الغيطان"، مداخلها، و الغيطان[6:] جمع غائط و هو الحائط ذو الشجر " غير فصيحة لأنها نادرة الاستعمال.

. و يذكر أبو هلال العسكري نقلا عن علماء العربية:" الفصاحة تمام آلة البيان "[7] ، فالفصاحة حسب رأيه تتضمن معنى الآلة، فهي مقصورة على اللفظ فقط، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى وقد استدل على ذلك بقوله:"...والدليل على ذلك أن الألثغ و التمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف، و كان والدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ و البلاغة تتناول المعنى "[8]

و من هنا يتضح أن العسكري يرى أن الفصاحة تكمن في اللفظ، كما فرق بينها وبين البلاغة كون هذه الأخيرة تتعلق بالمعنى، و لا يسمى الكلام فصيحا إلا إذا كان لفظه سهل محكما .

3.معايير الفصاحة وشروطها :يوصف بالفصاحة اللفظ المفرد، الكلام، المتكلم.

1.3. فصاحة المفرد :يجب أن تتوفر شروط ثلاثة في اللفظ كي يكون فصيحا وهي: خلوه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس .

---

5.ينظر:أحمد الهاشمي: جواهر البالغة في المعاني و البيان والبديع، توثيق و ضبط: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ص:06

6.أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان و التبين، ص:833 .

7.ينظر:أبو هلال العسكري: الصناعتين: الكتابة و الشعر، ص :253 .

8.المرجع نفسه،ص254

أ.تنافر الحروف :أجمع البلاغيون على أن التنافر ما يعتري الكلمة المفردة، أو الكلام المركب من ثقل يتعسر معه النطق بها، مما يقتضي جهدا عضليا يجهد اللسان فيؤدي التنافر إلى التلعثم في النطق، و كان الجاحظ أول البلاغيين الذين نبهوا إلى هذه القضية، و قد تناولها في كتابه" البيان و التبيين" عندما تناول الاقتران بين الحروف و الألفاظ، و قد ذم التنافر و أشاد بتلاؤم الألفاظ، حيث قال:" و أجود الشعر ما رأيته ملتحم الأجزاء، سهل المخارج يجري على اللسان كما يجري الدهان [9] فالكلام الجيد أو الشعر الحسن عند الجاحظ ما كانت أبياته مترابطة و ألفاظه متسلسلة سهلة النطق غير متنافرة الحروف، فالتنافر هو ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل و عسر النطق

ب.الخلو من الغرابة :معروف عند البلاغيين أن الكلمة المفردة أو الكلام المر كب يخلو من الفصاحة لعدة عيوب، و الكلمة لا تكون فصيحة إلا إذا خلصت من هذه العيوب، و الغرابة في الكلمة أن تكون خفية الدلالة على المعنى الذي وضعت له، و مما قيل في غرابة اللفظ:" أن الكلام غير الفصيح ما كان في ألفاظه غرابة و عسر على الإفهام إدراكه، جهلا بمحاسن الفصاحة و أوضاع البلاغة "[10]

و يكون لسببين هما:

أ أن يكون اللفظ وحشيا قليل التداول في لغة العرب، فيحتاج إلى المعاجم للبحث عن معناه، و مثال ذلك أيضا كلمة "جؤشوش" في قول البحتري

فلا وصَل إلا أن يِطيف خيالها # بناسَ تحت جؤشوش من الليل أسفع

فلفظة "جؤشوش" هي محل الشاهد معناها قطعة من الليل، و هي كلمة غريبة وحشية تحتاج في معرفتها إلى التنقيب في كتب اللغة.

---

9. الجاحظ، البيان والتبيين، ص :13

10.عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مكتبة ومطبعة الإشعاع، كلية التربية جامعة الإسكندرية، ص :11

و يكون لسببين هما:

أ أن يكون اللفظ وحشيا قليل التداول في لغة العرب، فيحتاج إلى المعاجم للبحث عن معناه، و مثال ذلك أيضا كلمة "جؤشوش" في قول البحتري

فلا وصَل إلا أن يِطيف خيالها # بناسَ تحت جؤشوش من الليل أسفع

فلفظة "جؤشوش" هي محل الشاهد معناها قطعة من الليل، و هي كلمة غريبة وحشية تحتاج في معرفتها إلى التنقيب في كتب اللغة.

ب. أن تكون الغرابة ناشئة عن حيرة المتلقي في فهم المعنى، بسبب دلالة اللفظ على معنيين أو أكثر بلا قرينة متينة للمعنى المقصود ومثال ذلك لفظة المسرج في قول الحجّاج

ومقلة وحاجبا مزججا # وفاحما مرسنا مسرجا[11]

وقد عاب البلاغيون على الشاعر في وصف الأنف استخدامه لكلمة " المسرج و هي كلمة كما يقول القزويني غريبة في اللفظ والاستعمال، فاختلف البلاغيون في بيان معناها، فقال بعضهم: قد يكون من السراج أي أنه أنف مضيء كالسراج

ج.مخالفة القياس:

وذلك بأن يكون اللفظ مخالفا للقياس الصرفي المعروف في لغة العرب مثال ذلك

الحمد لله العلي الأجلل الواحد الفرد القديم الأول

فقوله الأجلل غير فصيح لأنه مخالف للقياس الصرفي والنطق الصحيح للكلمة هو الأجل بالإدغام لا بالفك[12]

11. القزويني، التلخيص في علوم البالغة، طبع دار الفكر العربي، ط:2 ،،ص: 25-26

12.بن عيسى الطاهر ،البلاغة، ص: 25.